المجمـــع المصـــرى للثقـافـــة العلميـــة

تاريخه ومنجزاته ودوره

فى نشـر الثقافـة العلمـية فى مصـر

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

تمهيد :

نشطت الحركـة العلمية فى مصـر بعد إنشاء الجـامعة المصرية عـام ١٩٢٥ وكانت هناك رغبة جامحة فى اللحاق بركب الدول المتقدمة ، بعد أن عـانت مصر من احتلال مقـيت جثم على صدرها فى أواخـر القرن التاسع عشـر ، واستمر سنين عـدة أخمد خلالها جذوة العلم والحركة العلمية .

وعند التفكير فى إنشاء مـجمع للثقافة العلمية فى مصر ، بجانب الجامعة المصرية لم يكن فى مصر سوى عدد قليل جدا من الجـمعـيات العلمـية ذات النشـاط العلمى المرمـوق فى البـلاد ، ويجدر بى أن أذكـر منهـا المجـمع العلمى المصـرى الذى أنشئ عـام ١٧٩٨ ، على غرار المجـمع العلمى الفـرنسى ، إبان الحـملة الفـرنسيـة والذى واكب إنشاؤه بدء الحركة العلمـية فى مصر فى العـصر الحـديث ، وكان الغـرض من إنشائه تحقيق غرضين :

الأول نشر نور العلم فى كل رجا من أرجـاء مصر ، والثانى : بحث أحداث مـصر التاريخية ومرافقها وطبيعتها وكل مايتصل بها ، وقد قام علمـاء المجمع الذين وفـدوا مع الحملة بإنجـازاتهم الـرائـعـة فى كـتـاب « وصف مصر » ، ذلك السـفر الأعظم الذى حوى بين دفتيه وصفا علميـا دقيقا لكل ما حوته أرض مصر وماؤها ومـا أظلته سماؤها من كائنات ، مما ظـل وسيظل معـينا ينهل منه كـل من أراد أن يـرجـع إلـى هذا المـورد العظيم ، وفى عـام ١٨٠١م توقف نشـاط المجمع العلمى ، ثم بعـثت فيه الحـياة من جديد عـام ١٨٥٩ بمدينة الإسكندرية ، ثم انتقل إلى القاهرة عام ١٨٨٠ ، وظل حتى الآن يقوم برسـالته العلمـية ونشـر المعارف الإنسانية ؛ وفى عام ١٨٧٥ أنشئت الجمعية الجـغرافـية لتـقوم هى كـذلك بدورها فى الحركة العلمية فى مـصر والعمل فى ميدان الخـدمات العلـميـة والثـقافـيـة ؛ بتنظيم المحاضرات ونشر المؤلفات وتشجيع البحث الجغرافى وإصدار المجلة الجغرافية العربية ؛ ولا تزال تقـوم بنشاطـها المرمـوق فى هذا المجال مـحليا وإقليميـا ودوليا ؛ منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .

وقد واكب إنشاء الجمعية الجغرافية تقريبا فى مصر ظهور مجلة « المقتطف » فى بيروت عام ١٨٧٦ أداة من أدوات نشر الثقافة العلمية فى الوطن العربى، وفى عام ١٨٨٥ انتقلت هذه المجلة إلى القاهرة ، وقد قامت بدور رئيسى فى نشر الموضوعات العلمية والثقافية طوال خمسة وسبعين عاما باللغة العربية .

ومع ذلك كانت الحركة العلمية إبان القرن التاسع عشر حركة محدودة بإنشاء هاتين الجمعيتين العلميتين وظهور مجلة المقتطف ، على الرغم مما زاد عليها من نشاط فى حركة الترجمة التى قادها شيخ المترجمين : رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧٥) فى مواجهة أمر العلوم الجديدة ومحاولة إجلال العلوم محلها اللائق فى حياة المجتمع المصرى ، لاسيما بعد إنشاء المطبعة والبدء فى تيسير حركة النشر وطبع الكتب والدوريات والمؤلفات فى مختلف العلوم والفنون وإرسال البعثات العلمية فى عصر محمد على (١٨٠٥-١٨٤٩) والاهتمام كذلك بالعلوم والمعارف فى عصر إسماعيل (١٨٦٢-١٨٧٩) .

وفى مطلع القرن العشرين نشطت الحركة العلمية فى مصر وأخذت أبعادا جديدة ؛ فأنشئت الجمعية المصرية لعلم الحشرات عام ١٩٠٧ والجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والتشريع عام ١٩٠٩ وتلا إنشاء هاتين الجمعيتين العلميتين إنشاء ثلاث جمعيات أخرى ، هى : الجمعية الطبية المصرية عام ١٩١٦ ، وجمعية خريجى المعاهد الزراعية عام ١٩١٨ ، وجمعية المهندسين المصرية عام ١٩١٩ ، وفى أواخر العشرينيات أنشئت الجمعية المصرية لعلم الحيوان عام ١٩٢٧ ، والجمعية الكيميائية المصرية عام ١٩٢٨ - وكل هذه الجمعيات ومنها خمس جمعيات علمية وثلاث جمعيات مهنية - تقوم بدور بارز فى تقدم علومها التخصصية ؛ كما أنها تعمل أيضا فى إطار أهدافها على نشر الثقافة العلمية فى مجال تخصصها وهى تقوم برسالتها العلمية منذ إنشائها حتى اليوم .

المجمع المصرى للثقافة العلمية :

عندمـا بدأ التفكيـر فى إنشاء المجـمع المصرى للثقـافة العلمية فى شـهر يونيه من عـام ١٩٢٩ - كـانـت بمصـر تـسع من الجمعـيات العلمية جـاء بيانها فى التمـهيد السـالف الذكـر ولم تكن مـن بين هذه الجمعيات جمـعية جـعلت نشـاطهـا كـله أو جله يدور حول الثقافة العلمية بل كانت كل هذه الجـمعيـات جمـعيـات علميـة متخـصـصـة ولو أن جزءا من نشـاطهـا بالطبيعة كـان ثقـافـيا علميا إلا إن ذلك لم يكن لـيـشـفى عـلة أو ينقع غـلة لدى المتـعطشين لكـؤوس مترعـة من الثـقـافـة العلمـية يروون بها ظمـأهم الذى طال بهم ردحا طويلا من الزمن .

لذلك اجتمع نخبة من علماء مصر فى ذلك التـاريخ وقد حبـاهم الله نفـحة من علمه وقبسـا من نوره وآمنوا بالعلم سلاحا ماضيا تشق به الأمم الناهضـة طريقها نحو مـدارج الرقى ووجـدوا أنـهم على أبواب نهضة علمية حديثة لاحت تباشيرها بإنشاء الجامعة المصرية وإنشاء عدة جمعيات علمية وأنه لابد لهذه النهضة أن تفسح مكانا لنشر الثقافـة العلمية وأنه ينبغى ألا تقصر مـهمة العالم فى المجـتمع الحديـث على أن يقبع فى محراب العلم باحثـا أو معلما بل عليه أن يؤدى رسـالة العلم فى أوسع نطاق من جمهرة المتعلمين كما يشارك فى إبداء الرأى فى مشـروعات وطنه ويتصـدى لها بالعلم والخبرة لتقوم على الأسس العلمية السليمة وأن يصنع ذلك كله باللغة العربية .

اجتـمعت هذه النخـبة بدار المقـتطف وهى المجلة التى أسهـمت بقسط كبـير فى نشر العلم والثقافـة العلمية فى ذلك الحين وعقـدوا بها اجتـماعاتهم الـتمهـيدية التى تدارسوا فيـها موضوع إنشـاء المجمع وفى العـاشـر من شهـر يناير عـام ١٩٣٠ قـر قرارهم على إنشاء المجمع المصـرى للثقافة العلمية واكـتمل اجتمـاعهم الرسمى الأول فى ذلك التـاريخ واخـتـاروا المغـفـور له الدكتور على إبراهيم (جـراح مصر) أول رئيس للمـجمع وبقـية الأعضـاء فى ذلك الوقت وهم السادة الأساتذة: حسين سرى ، د. محـمد شاهيـن ، أحـمـد حسنين ، د. على توفيق شوشة ، د. حسن صادق، د. خليل عـبد الخـالق ، د. على مـصطفى مشـرفة ، د. أحـمد زكـى ، د. محـمد شـرف ، د. أحمـد زكى أبو شـادى ، د. عـبـد العـزيز أحـمـد ، د. على حـسن (الفـسـيـولـوجى) ، د. على حـسن (الكيمـيائى) ، محمود توفـيق حفناوى ، حسـن زكـى ، انـدراوس شخاشـيرى ، د. جـورجـى صبحى ، د. مـحمد رضـا مـدور ، إسـمـاعيل مظهـر ، د. كـامل منصـور ، سلامـة موسى ، فـارس نمر ، فـؤاد صروف .

واتفق الجميع على وضع خطة عمل للمجمع وأخذوا أنفسهم قبل أن يأخذوا غيرهم بالشدة والحزم وجعلوا للعلم هيبته واحترامه وأحاطوا مجمعهم بالوقار مع البساطة ثم حزموا أمرهم فعقدوا مؤتمرهم الأول فى شهر مارس عام ١٩٣٠ وتليت فى هذا المؤتمر محاضرات قيمة نشرت كلها بالكتاب الأول للمجمع وكان استقبال جمهرة العلمين والمثقفين للفكرة رائعا وإقبالهم عظيما على الاستماع مما ينهض دليلا على تعطش الكثيرين للمعرفة والاستزادة منها وكان ذلك أيضاً من سمات العصر وكان نجاح هذا المؤتمر والإقبال عليه أمرا أثلج صدر القائمين على شئون هذا المجمع وشجعهم على المضى فى تأدية الرسالة التى وهبوا أنفسهم لها فأقاموا المؤتمر تلو المؤتمر متناولة هذه المؤتمرات شتى الموضوعات والمشروعات حتى كان عام ١٩٣٥ فقرر أن يزيد المجمع عدد أعضائه إلى أربعين عضوا ثم بقى الحال على هذا تسعة أعوام أخرى ثم رأى المجمع أن يفتح الباب لعضويته على مصراعيه فلم يلبث أن قفز عدد أعضائه إلى قرابة ثلاثمائة عضو تسابق إليها الشباب والشيوخ على السواء دليلا على الحماس للعلم وللهيئات التى تنشر نوره وتعلى مناره .

أغراض المجمع وأهدافه :

نص دستور المجمع عند تأسيسه على أن تشمل أغراضه تحقيق :

١ - نشر الثقافة العلمية .

٢ - بث الروح العلمية فى البيئة المصرية .

٣ - العناية باللغة العربية لغة العلم.

٤ - إبداء الرأى فى المشروعات القومية .

والمتتبع لنشاط المجمع طوال قرابة خمسين عاماً منذ إنشائه حتى اليوم ليرى رأى العين وبالبصيرة النافذة أيضاً أن المجمع كان حفيظا على الخطة التى رسمها لنفسه أمينا على الرسالة التى اؤتمن عليها فقد ظل يواصل مهمته السامية فى نشر الثقافة العلمية من خلال محاضراته ومؤتمراته السنوية التى لم تتوقف طيلة أكثر من نصف قرن وحفلت هذه المحاضرات بشتى أنواع العلم وألوان المعرفة وستبقى هذه المحاضرات شاهدا على جهود مشكورة لفئة من علماء هذا الوطن لتثقيف مواطنيهم وإلقاء الضوء لحل الكثير من المشاكل القومية .

ولو استعرضنا كتب المجمع السنوية التى بلغت خمسة وستين مجلدا لوجدنا فيها رصيدا متعاظما من قرائح علمائنا ومفكرينا ومنهلا فكريا وعلميا وثقافيا لا ينضب - صيغ كل ذلك فى نحو خمسمائة وخمسين محاضرة علمية فى مجالات الزراعة والصناعة والاقتصاد والطب والاجتماع والعلوم الإنسانية والبيولوجية والفيزيقية وغيرها وفى السنوات الأخيرة اتسع نطاق مفهوم الثقافة العلمية فى المجمع بحيث أصبح يشمل موضوعات فى علم النفس وفى الشخصية المصرية وفى الموسيقى والفن التشكيلى ما دامت ملتزمة بالمنهج العلمى .

وقد عمل المجمع أيضاً على بث الروح العلمية فى البيئة المصرية بجهوده المتواضعة فكما قال أحد رؤساء المجمع السابقين وهو الدكتور أحمد رياض « بقى المجمع وفيا لتلك الروح العلمية السامية التى أملت على الأعضاء فكرته فحمل لواء العلم مع الحاملين وجعل رسالته أمانة فى عنقه آلى على نفسه أن يؤديها إلى يوم الدين ولم يبخل أعضاؤه بتقديم عصارة أذهانهم ونتيجة أبحاثهم مبسطة فى كثير من الأحيان إلى الجمهور المتعلم لتثقيفه ولتعويده الأسلوب العلمى أساسا للتفكير فالبحث ثم التطبيق وبذلك نسجوا الصلة بين العلم والمجتمع المصرى ثم وثقوها ».

ولعل أهم ماعنى به المجمع أن تكون اللغة العربية لغة للعلم فقد كان لها دائما أبرز مكان بين أغراض المجمع إذ نص على نشر الثقافة العلمية باللغة العربية وكذلك خدمة اللغة العربية بكتابة المباحث العلمية بها ونشرها كما نص على إنشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من الناطقين بالعربية والمستعربين ونص أيضاً على أن لغة المجمع هى اللغة العربية وإذا تليت محاضرة بغيرها فتتلى ترجمتها وتمسك المجمع ومحاضروه بهذا النص تمسكا شديداً إحياءً للغة العربية وإرجاعها إلى مجدها لغة للعلم ودخصا للفرية التى انتشرت بين بعض المتعلمين أن اللغة العربية تقصر أحيانا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث وإيقاع العصر لحركة العلم والتقدم العلمى لذلك عمد المحاضرون إلى أحياء المهجور من كلام العرب حينا وإلى التعريب حينا آخر وإلى النحت كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا وخلقوا التراكيب

وجددوا الأساليب ماشاءت لهم علومهم وفنونهم وبمرور السنين كانت قد اتسعت حركة النشر والترجمة والتعريب فى مصر وأدلى مجمع اللغة العربية بدلوه فى هذا المجال فانعكس كل ذلك على محاضرى المجمع وأثرى لغتهم ومصطلحاتهم العلمية فى مجاضراتهم ومباحثهم فازدادت هذه غنى وثراء وهكذا مضى المجمع يدعم رسالة اللغة العربية لغة للعلم طيلة هذه السنوات الخمس والستين من عمره وهذا عمل جد جليل .

تبسيط العلوم :

عمل المجمع جاهدا على تبسيط العلوم فهو يحاول أن ينقل العلم الجاف أو العلم المعقد إلى علم يمكن أن يستسيغه ويتقبله الشخص المتعلم العادى أو غير المتخصص وأن يهضمه ويتمثله بسهولة وهذا ما درج عليه المجمع منذ إنشائه ومن المعروف أن العلم قد تشعبت فروعه وتنوعت مفاهيمه فوجد المجمع أنه من الخير أن ينهج هذا النهج لاسيما وأن الذين يلوذون به ويتفيأون ظلاله هم جمهرة المتعلمين متنوعى الثقافة والتعليم فكلما كان العلم مبسطا كان الاستيعاب كبيرا وهذا هدف يصبو المجمع إلى تحقيقه بأن تصل الثقافة إلى المتعطشين لها والراغبين فيها كما حرص المجمع أن يعرض لكثير من الموضوعات التى تهم مصر فى كثير من النواحى ولكن بأسلوب علمى مبسط يجذب المناقشة والحوار ويقترح الحلول وفى الواقع كانت هذه من أهم السمات التى تميز بها المجمع والذى يمعن النظر فى مقالات المجمع التى تزخر بها كتبه يبهره المحتوى العلمى لهذه المقالات المكتوبة بلغة علمية سلسة بسيطة مفهومة غير مستعصية على مافيها من دسامة وغنى وما تتناول من مشاكل وموضوعات على أعظم جانب من الأهمية والخطورة .

وقد سبق للمجمع أن شجع أعضاءه على التأليف وخاصة على إخراج تلك الكتب التى تبسط العلم وتقربه إلى الأذهان وقرر فى جلسة ١٧ من يناير ١٩٣٥ على مساعدة الأعضاء على طبع ما يقومون بتحضيره من الكتب العلمية ، وقد حالت الحوائل أمام تنفيذ هذا القرار .

دعوة المجمع لإنشاء صحافة علمية :

كان المجمع المصرى للثقافة العلمية أول هيئة دعت منذ ثلاثين عاما إلى إنشاء صحافة علمية تفسح مجالا لمسائل العلوم فقد نادى الأستاذ الدكتور كامل منصور فى محاضرته الرئاسية للدورة التاسعة عشرة للمجمع عام ١٩٤٩ نود أن نرى فى كل جريدة يومية صفحة علمية فى يوم مخصص من أيام الأسبوع مثلا وتكون هذه الصفحة تحت إشراف محرر علمى مسئول.

وقد ردد الأستاذ فؤاد صروف وكيل المجمع فى خطاب له أيضاً أمنية دعا المجمع إلى تحقيقها وهى أن يجئ اليوم الذى يصبح فى كل صحيفة من صحفنا الكبيرة محرر علمى يشرف على ما ينشر فيها فى باب العلم .

ولا شك أن المجمع حين يرى اليوم أن هذه الأمنية قد تحققت وأصبحت صحفنا الكبرى تحفل بأقسام علمية لها وزنها وبمحررين ورؤساء علميين يعتد بهم فى الحقل العلمى والإعلام العلمى وتفرد الصحف مساحات لابأس بها للأخبار والمقالات العلمية وإن كانت حركة العلم والتقدم العلمى تستأهل إهتماما مضاعفا من صحافتنا اليومية والأسبوعية - حين يرى المجمع ذلك فإنه ليسعد اليوم حقا .

إبداء الرأى فى المشروعات القومية :

من أهداف المجمع أيضا أن يتصدى بالرأى والمشورة والتخطيط العلمى لكثير من مشروعاتنا القومية وخلال هذه السنين الطويلة من عمره بذل علماؤه جهودا مخلصة فى بحث العديد من هذه المشروعات وإلقاء الضوء عليها واقتراح الحلول لمشاكلنا الاقتصادية ومن أمثلة ماعالجه المجمع من موضوعات : السد العالى ومنخفض القطارة ، الثروة المعدنية فى مصر، البترول، الرى ، القناطر والسدود، تخطيط الاقتصاد القومى ، التصنيع ، الثروة الحيوانية ، القطن ، تنظيم البحث العلمى ، التعليم الجامعى ، عناصر الحركة العلمية فى مصر، استصلاح الأراضى، زراعة الصحراء ، تعمير سيناء، بترول الشرق الأوسط ومقامه العالمى ، توليد القوة المحركة فى مصر ومشروع خزان أسوان ، السماد الواجب صنعه من كهربة

الخزان ، إكثار النباتات الصحراوية ذات القيمة الغذائية ، ضبط مياه النيل ، سكان مصر ، مشكلة الذباب فى مصر ، بعض مظاهر الاقتصاد الموجه فى مصر ، الوسائل العلمية الحديثة للكشف عن المعادن ، بيولوجيا العواطف ، اتجاهات جديدة فى الإصلاح الاجتماعى فى مصر ، الثقافة العلمية وأثرها فى الصحة العامة ، العربية لغة العلم ، نهر النيل وتطوره الجيولوجى ، النيل عند الفراعنة ، التغذية والصحة العامة ، وكثير من هذه المشروعات أولته الدولة اهتمامها ووجدت طريقها نحو التنفيذ والمتابعة .

وهكذا نرى أن المجمع طوال خمسة وستين عاما ظل ولا يزال يعمل فى إصرار وإيمان لإرساء قواعد الثقافة العلمية فى البلاد ونشرها وازدهارها بين جمهرة المتعلمين والمثقفين وبث الروح العلمية فى البيئة المصرية والعناية باللغة العربية لغة للعلم وأخذت جماعات العلماء التى وليت أمر هذا المجمع تعقد المؤتمر تلو المؤتمر زاخرا بشتى الموضوعات العلمية والثقافية وبالجملة فقد كرست هذه الجماعات جهودها لتحقيق الهدف الأسمى الذى رسمته لنفسها وما كانت لتميل عنه إصبعا إلا لتميل إليه ميلا .

وهكذا مضى المجمع فى تأدية رسالته متألقا بين الجمعيات والهيئات العلمية وقل أن يكون له ضريب بين أقرانه من الجمعيات يحمل لواء الثقافة العلمية ويرسى قواعدها فى البلاد حتى أصبح بهذه الميزة التى تفرد بها نسيج وحده بين الجمعيات والهيئات العلمية فى مصر .

★ ★ ★ ★

محمود حافظ

عضو المجمع